الأسس الجغرافية والتاريخية
للوحدة اللوبية

الاستاذ مصطفى عبد الله بعيو

احتلت القضية اللوبية فى الاعوام الأخيرة مكانه دوليه هامه استرعت انظار العالم مما ترتب عليه انصراف عدد كبير من المختصين إلى دراسة شئونها كل فيما يختص فيه؛ وخرجت إلينا المطابع الافرنجية بابحاث شتى بخصوصها كان أهمها بالنسبة لموضوع اليوم مايتعلق بتاريخها وجغرافيتها (١) . على أن أهم مايلفت النظر فى هذه المؤلفات العلمية الحديثة اتجاهها اتجاهاً خاصاً فى دراسة البلاد . هذا الاتجاه قائم على الدراسة المؤدية لأقسام البلاد الثلاثة بحيث أن كل قسم منها قائم بذاته وله خصائصه التى ينفرد بها. وليس التخصص أو الخوف من تضخم الكتب هو الذى دفع معظمهم إلى هذا المنهج ولكن هى الروح الانفصالية والتمهيد لذلك عن طريق العلم حتى تنتشر الفكرة وتتم فتكون نواة صالحة لتسهيل تنفيذ الاغراض السياسة وهكذا وجدنا الحقائق تلوى ليا وتطمس طمساً فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية . وهكذا وجدنا رجال السياسة يتخذون من هذه الحقائق على حالتها هذه عماداً لتأييد نظريتهم الراميه لتقسيم البلاد حتى يفوز كل منهم بنصيبه من هذه الفريسة التى وضحت أهميتها للعيان بعد الحرب العالمية الأخيرة

كانت أهم النقط التى استند عليها بعضهم فى التفريق بين برقة وطرابلس مثلا أن الأولى خضعت للاغريق بينما الثانية خضعت للفينيقيين ، فقرطاجة وأن الأولى كانت تكون ولاية رومانية احياناً مع مصر واحياناً مع جزيرة كريت فى الوقت الذى كانت فيه طرابلس تلحق بافريقية ؛ وأن عرب الأولى معظمهم من قبائل سليم ومعظم عرب الثانية من بنى هلال ؛ وأن سكان الاجزاء الشمالية من لوبيا وجميع الساحل البحر الابيض ، أما سكان فزان فيرجعون إلى السلالة الايبوبية . وهكذا من الأدلة التاريخية المبعثرة التى يمكن أن يأخذ بها الانسان اذا قرأها قراءة سريعة دون فحص او تحليل .

وعلى العموم ان مثل هذه الأدلة وغيرها وإن صحت حقيقتها لاتصلح ان تكون مؤيداً لهذه النظرية الانفصالية ، لأنها تمثل الحالات الشاذة التى مرت بها البلاد ، والتى لايخلو منها تاريخ أى بلد. وماذا يكون الأمر اذا ثبت عكسها وأتت الأدلة بنقيضها ؟

فنحن إذا نظرنا إلى خريطة لوبيا الطبيعية لانجد من المظاهر الطبيعية كالبحار والانهار والجبال مايصلح لأن يكون حداً طبيعياً بين هذه الأجزاء الثلاثة هذا الاتصال الطبيعى هو الذى جعل بعد الجزائريين المؤرخين القدامى يختلفون فى تحديد كل اقليم ويخلطون بينه وبين الآخر ؛ فهذا المؤرخ Sallust عندما يؤرخ للنزاع بين قورينا وقرطاجة يقول : « كان هناك سهل رملى على الحدود فيما بين البلدين ذو سطح متشابه خال من المعالم . ليس به جبل أو نهر حتى يمكن بواسطته تحديد حدود هاتين المملكتين ... وهذا ياقوت الحموى فى معجم البلدان عندما يتكلم عن طرابلس يقول بأنها مدينة فى آخر أرض برقة وأول أرض افريقية وهكذا يجعل برقة تمتد غرباً حتى مدينة طرابلس ، ويذهب بالوحدة بينهما إلى حد بعيد، حتى أنه أطلق برقة على معظم اقليم طرابلس. وهذا ابن وسته فى كتابه الاعلاق النفيسة عند كلامه عن سرت يعتبر توزعة حد برقة الغربى . وهذا أبو الفدا فى كتابه تقويم البلدان يتخذ من قصر أحمد ميناء مدينة مسراتة حداً غربياً لبرقة . وهذا ليون الافريقى يصف المنطقة الممتدة من مسراته إلى الاسكندرية تحت عنوان برقه، فكانه يجعل من مسراته حداً غربيا لها. الرحالة

---

(١) من بين هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر مايأتى :

ا — سلسلة « Hand Book on Tyrenaica » وقد صدرت فى عدة اجزاء تحت اشراف البريجادير كنج رئيس الادارة البريطانية ببرقه سابقاً واشترك فى تاليفها استاذان من جامعه فاروق الأول هما الاستاذ لمن ويس الذى الف الجزء الثالث والاستاذ عزيز سوريال عطية الذي الف الجزء الرابع . أما الدكتور اتين دريتون مدير مصلحه الآثار المصريه فقد اشترك فى تاليف الجزء الثانى من هذه السلسلة .

ب مؤلفات الاستاذ Evaus Pitchard الاستاذ بجامعه اكسفورد

المستر بتش واخوه اللذان قاما برحلة علمية جغرافية من طرابلس إلى درنة في أيام يوسف باشا القره مانلي يشاركان الرحالة ليون الافريق في هذا التحديد .

اختلفت هؤلاء المؤرخون والرحالة في تعيين الحدود بين هذين الاقليمين، ولهم الحق في هذا الاختلاف لأن الطبيعة وحدت بينهما وجعلت من الصعب الجزم بأي حد بينهما. وساعد على الربط خليج سرت الكبير بشكله المعروف. فنحن اذا نظرنا إلى خريطة لوبيا لاحظنا خلوها من الخلجان العرعيه والثنيات التي تصلح أن تكون اساساً لاتخاذها نقطة للفصل بين ساحلي الاقليمين، بل أن خليج سرت بشكله القوس المستقيم يربط بين مسراته وبنغازي بنهايتيه .

ومن المسلم به بين علماء الأجناس ان الاساس الجنسي لكل من برقة وطرابلس يقوم على سلالة البحر الابيض المتوسط. وكان من المعتقد قديماً أن قبائل الجرامنت صاحبة الحضارة الراقية والتي كانت تسكن في فزان في العصور القديمة ترجع في أصولها للسلالة الاثيوبية ؛ ولكن النتائج الأخيرة التي وصلت إليها احدى البعثات الايطالية لدراسة الناحية الجيولوجية والبشرية لمنطقة فزان اثبتت عدم صحة هذا الرأي بعد زيارة وادي الاجال بفزان وفحص مقابره العديدة ، وارجعت اصولها الجنسية إلى سلالة البحر الابيض مستدلة على ذلك بالحضارة الراقية التي كانت عليها القبائل الجرمنتية والتي لابد أنها قد وصلت مع أهلها من الشمال . وهكذا كانت هذه الوحدة الجنسية في اساسها صالحة فيما بعد لأن تكون منسجمة امام ماجد من تطور في الجغرافية البشرية لهذه البلاد وعدم اختلال التوازن الجنسي بين سكان هذه الاقاليم لما جد من فتح وغزوات كان لها اثرها الطبيعي في تكوين الشعب الليبي بصفة عامة .

يرى الذين يؤيدون فصل لوبيا الغربية عن لوبيا الشرقية أن هذا الفصل شيء طبيعي كانت له سابقة في التاريخ القديم تصلح أن تكون اساساً لهذه النظرية؛ فبينما خضعت برقة للاغريق انفرد الفينيقيون فالقرطاجنيون بطرابلس . وهذا التأييد التاريخي لحركة الانفصال صحيح اذا اخذنا به على علاته دون بحث أو تحقيق . ولكن اذا حللنا الاسباب التي دعت هذا إلى الفصل تبين لنا عدم صحة هذا الاساس الذي بني عليه هذا التقسيم . فمن المعلوم أن الفينيقيين قد اضطروا لهجر الجزء الشرقي من حوض البحر الابيض المتوسط امام نشاط الاغريق وتحفزهم ولجأوا الى الحوض الغربي وكان من حظهم أن اتوا الى طرابلس . ولا شك أنهم فكروا في الساحل البرقي قبل أن يصلوا إلى الساحل الطرابلسي بحكم قربه إلى موطنهم الأصلي؛ ولكنهم رأوا في التروح إلى الساحل البرقي مايعرضهم لخطر الاغريق بشكل اقطع نظراً لمواجهة برقة لبرقة اليونان مباشره ولم الذين تركوا لهم شرق البحر الابيض حتى لايواجهوا الاغريق؛ ولهذا اضطروا إلى التخلي عن برقة والاكتفاء بساحل طرابلس. وليس معنى هذا التخلي التسليم بالتقسيم، ولكن الظروف هي التي اجبرت الفينيقيين على أنه إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للفينيقيين فإن الاغريق بعد أن استوطنوا برقة حاولوا ضم طرابلس إلى برقة والتوحيد بينهما. فالتاريخ يحدثنا أن دوريوس الاسبرطي قد نزل بفريق من اتباعه عند مصب وادي كعام إلى الغرب من بلدة ظليتن ، وهناك اسس مستعمرة اغريقية عرفت باسم Tynips قدر لها أن تعيش فترة من الزمن كانت كافية لأن تكون نواة لزحف الاغريق إلى طرابلس والتوحيد بينها وبين برقة. ولكن قرطاجة وهي التي هجر مؤسسوها شرق البحر الابيض امام الخطر الاغريقي لم تقف ساكتة أمام هذا الخطر الزاحف بل عملت على طرد الاغريق من هذا الجزء والقضاء على مستعمرتهم الناشئة .

هذه ولا شك محاولة ايجابية قام بها الاغريق للتوحيد بين الاقليمين وإن كان النجاح لم يكن حليفاً لها، فعلى العموم تصلح أن تكون نواة لحركة اخرى أقوى وأكثر وضوحاً فيما بعد . يتبين لنا ذلك عندما نرى البطالسة ملوك مصر وقد بسطوا سيادتهم على برقة اخذوا يزحزحون حدودها الى الغرب حتى أوصلوها إلى سرت ، ثم يقوم حاكم قورينا المسمى افلاس Epbellas بحركة جريئة كان الغرض منها ضم طرابلس إلى برقة عندما تمهد بمساعدة اجاثوكليس الاغريقي طاغية سيراكوز بصقلية في حربه مع قرطاجة على أن تطاق يده في لوبيا الغربية في حالة النجاح . وبدأ افلاس فعلا في تنفيذ خطته وسار بجيشه عبر الساحل الطرابلسي الى تونس وان كانت هذه المحاولة الجريئة التي قام بها اغريق برقة

لضم طرابلس لم تنجح هذه المرة كذلك؛ فإن ذلك لا ينفى هذه المحاولة الرامية لتوحيد الاقليمين باخضاعها لسلطة واحدة، اذ أن عدم التمسك بتحقيق شروط هذه الاتفاقية وروح الخيانة بين الحليفين هى التى وقفت دون تحقيقها .

وبعد أن فشلت محاولات التوحيد التى قام بهـا الاغريق واستقر كل فريق فى الجزء الخاص به رأينا النازعات والمشاكل تقوم بين البلدين على الحدود لعدم وضوحها ووجود ما يصلح أن يكون حداً فاصلا بين الاقليمين. وسرعان ما اتخذت هذه النازعات شكل الحروب المنظمة . فالتاريخ يحدثنا أن الحرب قامت بين قرويا وقرطاجة من أجل هذه الحدود عندما كانت قرويا تنزعم المدن الخمس باقليم برقة، وعندما كانت قرطاجة تبسط سيادتها على طرابلس. وهكذا كان فى شطر هذه البلاد فى ذلك الوقت مدعاة للحرب والنازعات. ويحدثنا أيضا كيف انتهت هذه الحرب بين الطرفين وبقصة التحكيم وتضحية الاخوين فليانى من اهالى قرطاجة واقامة مشهد تذكارى لهما فى المكان المعروف الآن «بالقوس» ولا شك أن الرضى بهذا الحد الصناعى لم يكن كذلك إلا خوفا من تجديد الحرب بينهما وافناء قوتهما وتعريضهما للفناء أمام خصم جديد اخذ يظهر للوجود متمثلا فى روما وقوتها، وإلا ما كانت هذه الحدود الصناعية تصلح أن تكون حدوداً وافية بالغرض الذى اقيمت من أجله ولا أدل على ذلك من نشاط تجارة النهب بين الاقليمين عندما فصلا عن بعضهما بعد هذه الاتفاقية وكيف قامت مدينة (كاراكس) المعروفة الآن (بسلطان) كنتيجة لهذه التجارة وكيف نشطت هذه الحركة خصوصاً فيما يخص تجارة نبات السلفيوم الذى كانت تنتجه برقة وعصير العسل الذى كانت تنتجه طرابلس . ولا شك أن فى اقامة مثل هذه الحدود الصناعية اعادة لحركة النهب هذه على أشد ما يكون. ولنا فيما نراه فى الاعوام الاخيرة ما يثبت ذلك، فكيف يكون الحال اذا اقيمت حدود معينة بمعنى تخطيها إلا بأذن خاص . لا شك أن الحياة الاقتصادية ستصاب فى نشاطها كما اصيبت فى السابق ولكن وجه الخطورة اشد فى العصر الحديث .

وما لنا نذهب بعيداً، فلنترك العهد الاخير فى الشرق جانبا لنرى البلاد وقد جاءها العرب فاتحين مبشرين بالدين الاسلامى سنة ٢٢هـ.

جاءت الجيوش العربية ففتحت برقة وتقدمت منها الى طرابلس فاستولت عليها وفى اثناء ذلك كان بعض الجند يتوغلون جنوباً الى زويلة وفزان ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص قد استأذن الخليفة فى فتح طرابلس وفزان بعد استيلائه على برقة، ولكنها تذكر لنا وتؤكد أن عمرو بن العاص اراد أن يتابع فتوحاته غرباً بعد طرابلس بالاستيلاء على افريقية لولا [illegible] على امر [illegible] من الكتابة فى هذا الخصوص. ومعنى هذا أن عمرو بن العاص فى فتحه لطرابلس وفزان بعد الاستيلاء على برقة لم يفعل اكثر من اتمام فتح هذه البلاد التى بدت له وحدتها منذ ذلك التاريخ ، حتى اذا ما أتم فتحها واراد الانتقال لغيرها شعر بضرورة الاستئذان قبل الاقدام على هذا العمل . وهكذا كان هذا التوحيد فى الفتح نتيجة لوحدة البلاد الطبيعية التى ادركها القائد العربى منذ ذلك التاريخ مقدمة لأحداث اخرى متتابعة وربطت بين الاقاليم الثلاثة وجعلتها اقرب ما تكون لبعضها من البلاد المجاورة .

الكلام صلة

مصطفى عبد الله بعيو
خريج جامعة فاروق ومعهد التربية العالى
عضو الجمعية التاريخية لخريجى كلية الاداب
مدير مدرسة النهضة الثانوية
بالزاوية بطرابلس الغرب

تاريخ الأدب العربى
للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصلى واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنى عشر مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد